هـــــذا فـــراق

شعر

د. إبراهيم عمران

الطبعة الأولى
الكتاب : هذا فراق
المؤلف : إبراهيم عمران
تصنيف الكتاب : شعر
تصميم الغلاف : محمد جمال
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٥٣٦٥ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 0 - 085 - 776 - 977 - 978

دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهـــداء

إلى والدى ووالدتى

ابراهيم عمران

شعرية المجاز وشعرية الحقيقة

(قراءة فى ديوان "هذا فراق")

إيهاب البشبيشى

يثير هذا الديوان، لصاحبه الدكتور إبراهيم عمران، عددا من القضايا الأدبية الهامة التى غالبا ما تثار عندما يطرح سؤال الشعر.

من هذه القضايا قضية العلاقة بين الشاعر وجمهوره، وانصراف جمهور التلقى عن الشعر فى العقود الأخيرة، والأسباب التى أدت إلى ذلك، ومدى مسئولية الشعراء عنها.

من هذه القضايا أيضا قضية المجاز والحقيقة، وإلى أى حد يستطيع الشعر الإغراق فى المجاز، وما هو الفرق بين الإيهام و الإبهام، وما يستتبع ذلك من تعويم للدلالة، وما يفتحه ذلك من أبواب على نظريات التلقى.

من هذه القضايا أيضا قضية التراث والتعالق والاتصال به، وما يترتب على ذلك من سؤال القطيعة مع التراث، والأصالة فى مقابل المعاصرة أو الأصالة مع المعاصرة.

من هذه القضايا أيضا قضية الموسيقا فى الشعر، ومدى انفتاح أو انغلاق آفاق القصيدة العروضية بشقيها العمودى والتفعيلى فى مقابلة مع قصيدة النثر حسبما اصطلح على تسميتها.

وقد تأخر صدور هذا الديوان جدا، ولعل الطب، وهو مهنة شاعرنا الدكتور إبراهيم عمران، هو السبب وراء هذا التأخير، لما يفرضه على أصحابه من قيود صارمة تضطرهم فى كثير من الأحيان إلى تأجيل ما سواه.

لكن كون هذا الديوان هو الديوان الأول لشاعرنا لايؤثر مطلقا فى عمق تجربته وأصالتها ولا فى الخبرة التى تتبدى فى كل قصائد الديوان، فنحن أمام شاعر مكتمل ومتحقق، بل ومتفرد أيضا فى أكثر من وجه من وجوه تجربته الشعرية الخصبة.

وربما كانت القضية الأولى وهى اتصال الشاعر بجمهوره، هى القضية الأم المهيمنة على باقى القضايا المثارة بواسطة هذا الديوان، وسوف يرى القارىء أن الشاعر كان مهموما إلى حد بعيد به، وكان حريصا على إقامة قناة اتصال واسعة، دائمة، غير منقطعة بينه وبين قارئه، ولايعنى ذلك أنه انحدر إلى التقريرية، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك، وسوف يرصد القارىء من آليات التعبير غير المباشر التى وظفها الشاعر الكثير، على الرغم من أن المباشرة فى حد ذاتها ليست عيبا إلا بقدر ابتذالها وتدنيها وتقريريتها، أما المباشرة

المشعة التى يوظفها الشاعر فى بعض الأحيان، فهى من قبيل السهل الممتنع الذى لا يستطيعه إلا الشعراء الحقيقيون.

انظر مثلا إلى قوله:

على جبل من التاريخِ

ما زلنا حفاةً

لم نفارق وجهنا الأغبرْ

ولم ندرك بأن حصادنا يذوِى

وأن رهاننا يَخسرْ

ولكنى رأيتك فى زوال العين

من "جفن الردى" تَقْطُرْ

رأيتك والسَّنا جدبٌ

و أيام الخنا تُزهرْ

عرفتك من صهيلٍ شامخٍ

كنا نسيناه

نسينا أوجه الفرسان من زمنِ

فمَن نذكرْ؟!

غريبًا حيثما تحيا

غريبًا حيثما تُذكرْ

غريبٌ والحقيقةُ كلها وطن له نعبرْ

يورد الشاعر الأبيات السابقة ضمن نص بعنوان "وجه الفرات" وسيكتشف القارىء أن المخاطب فى هذا النص إنما هو قائد العراق، وهو المشار إليه فى العنوان "وجه الفرات"، وهو أيضا العراق نفسه، وقد استطاع الشاعر من خلال هذه المباشرة المشعة أن يجعل من كليهما معادلا للآخر، ومن تاريخ أحدهما صفحة من تاريخ الآخر، كما استطاع الشاعر من خلال هذه المباشرة المدببة كالرمح أن يخترق الوجدان العربى ويستنفره ويستنهضه ليشاركه الأمل بعراق جديد قوى، كما كان وكما يحب الشاعر، فاستمع إليه يقول:

غدًا آتى

فوجهى فى فرات النهرِ

لايَفنى ولا يُقبرْ

سيولد ألفُ طفلٍ

من دم الشهداءِ

يحمل سيفكَ الأبترْ

يُعيدُ الحلمَ

يبعث فى نشيج الماء أغنيةً

من الإقدام للعسكرْ

غدٌ يأتى به القعقاعُ

يذبح ما تشابه فيه من بقرٍ

غد يأتى على الأبجرْ

يصد كتائب الرومان والبربرْ

غدًا والدَّهرُ دوارٌ

وهذا النخلُ لا يُقهرْ

هذه المباشرة الإيجابية ليست إلا جدولا تعبيريا واحدا من النهر الشعرى الجارف فى الديوان، وسيلحظ القارىء بنفسه كيف أن الشاعر برع فى تنويع طرائق التعبير المجازية واستخدامها بأقصى فاعلية ممكنة، تسمح له بالتحليق عاليا فى آفاق الخيال، مع الاحتفاظ بقدم له على أرض الواقع، فهو إذا رمز سرب مع الرمز مفتاحا له، وإذا تقنع قدم قناعا شفافا نرى وجهه من ورائه، وإذا قدم معادلا أورد معه ما يسمح بالتعرف على طرفى التعادل معا، فهو فى كل أحواله إذن يقدم للقارىء ما يعينه على النظر إلى محور الدلالة، ولا

يعنى ذلك أحادية التفسير للنص، ولكن يعنى مجالا دلاليا متسقا يسمح بتعدد التأويلات فى ظل وحدة البؤرة الدلالية.

انظر مثلا وهو يخاطب الوطن المحتضر فى أغلب الظن أو يخاطب قائده . انظر للشاعر كيف ينتقل من رمز لرمز، ومن صورة لصورة تصب جميعها فى بؤرة دلالية واحدة هى الوطن المحتضر والقائد الخائن، يقول:

اركع هناكَ

أنا هنا

أَلْقِ القميصَ مبشِّرا

لم تَبْقَ عينٌ فى وجوه الناس حتى تُبْصرا

فى دورة الإخفاقِ

أدخلُ لاجئًا جبرا

أُقَبِّل فى دُموسِ الليلِ

أحفرُ فى الرجا قبرا

وأنتظر الزمنْ

لا أَنتَ شيدتَ السِّدودَ

مُساويًا ما بين صدفيها

ولا أفْرَغْتَ فى أشداقها قطرا

بل كنتَ ترفلُ فى الوسنْ

والسامرىُّ على المنصَّةِ

لا مَساسَ ولا رَسَنْ

والملاحظ فيما سبق أن كل الرموز والأقنعة والإحالات إنما هى رموز تراثية، وهو ما يأخذنا مباشرة إلى قضية التراث والتعالق أو الاتصال به، أو رفضه والانقطاع عنه، وشاعرنا شديد الاتصال بالتراث، خاصة الدينى منه، بل يكاد يكون التراث أداته الأساسية للولوج إلى المعنى، فلا تخلو قصيدة فى الديوان من اتكاء على رمز تراثى أو إحالة إلى حادثة تراثية، أو حتى اقتباس تعبير قرآنى أو تراثى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نعتبر القرآن الكريم تراثا، فالقرآن الكريم حاضر إيمانى بقدر ما هو إرث دينى، لكن المقصود بالتراث الدينى تلك الشخصيات المحال إليها باعتبارها شخوصا تراثية، وتلك الحوادث باعتبارها وقائع تاريخية. وللوقوف على القدر الذى اتصل به الشاعر بالتراث سأحاول إجراء إحصاء بسيط للإحالات والرموز التراثية خلال قصائد الديوان؛ وهو إحصاء يرسم لنا كمًّا كثافة الوجود التراثى على خريطة الديوان، وكيفا يرسم

الآفاق الدلالية التى يحلق فيها الشاعر خلال هذا الديوان.

ففى قصيدة "برء" تتوالى الإحالات التراثية كالآتى:

أيوب عليه السلام، "اضرب بضغثك".

الرشيد، "وعساه يسمعك الرشيد".

أصحاب الكهف، "تبنى عليه المسجدا".

هامان وفرعون، "ابن لى صرحا".

بلال، "كن بلالا".

موسى وهارون والسامرى، "فاختصم عصف الخوار".

وفى القصيدة الثانية "سديم" نجد الإحالات كالآتى:

أصحاب الكهف، "هل راودتك الشمس"، "الكلب مات على الوصيد"، "رقيم".

موسى، "بوركت فى النار التى أشعلت".

العاديات، "والعاديات أتين ضبحا".

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، "سلم جبينك تله".

وفى قصيدة "وجه الفرات" ترد الإحالات الآتية:

"سيهزم الجمع ويولون الدبر" – "سيهزم جمعهم يوما".

أبو ذر الغفارى، "غريب حيثما تحيا/غريب حيثما تذكر".

أيوب عليه السلام، "اخلع نقيتك".

موسى عليه السلام، "اقترب للنار".

القعقاع، "غد يأتى به القعقاع".

عنترة، "الأبجر".

وفى قصيدة "رجع الزمان" ترد الإحالات الآتية:

إبراهيم عليه السلام، "نكر هوانك ياوثن/أذن وأذن".

موسى عليه السلام، " سلوى ومن"، "نار الحقيقة".

"بعض الظن إثم" – "بعض الإثم ظن".

سليمان وبلقيس، "دخلت صرحى/شمرت ساقك/ بلجتى/هدهد ألقى كتابا".

يوسف عليه السلام، "ألق القميص مبشرا".

ذو القرنين، " لا أَنتَ شيدتَ السُّدودَ/مُساويًا ما بين صدفيها/ولا أفْرَغْتَ فى أشداقها قطرا".

السامرى، "السامرى على المنصة لامساس ولارسن".

وفى قصيدة "هذا فراق" تتوالى الإحالات كالآتى:

لقمان، "فهل قلت أف".

يعقوب ويوسف عليهما السلام، "ألقى عليه بثوبى وأصبر".

الخضر، "وأما الغلامُ فلمْ تقتليه".

السامرى، "فلم ألق إلا الخوار".

أما قصيدة "برهان" فتجىء الإحالات الآتية:

موسى عليه السلام، "وكنت كمن رأى النيرانَ/هب ليجتلى الغيبا".

فرعون، "الفرعون والكهان والكذبا".

يوسف عليه السلام، "لم أزل فى الجب".

"قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"- "فقف نبك".

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، "بواد غير ذى زرع".

مريم عليها السلام، "فلو أنى هززتُ بجذعِك الواهى /فلستَ تُساقطُ الرُّطَبا".

وفى قصيدة "وحدك" تتوالى الإحالات كالآتى:

الرشيد، "خلف أبواب الرشيد".

عنترة، "ماذا يساوى عنترة/ولقد ذكرتك والزمان".

خالد بن الوليد، "وخالد لم يبر سهما".

زرقاء اليمامة، "أنت الذى بصر اليمامة".

وفى قصيدة "المرجفون" نرى هذه الإحالات:

يوسف عليه السلام، "من أين أقتبس السنا".

الخلافة وحكام الطوائف، "باعوا الخلافة بالكراسى والذهب".

أبرهة، "الراكعون لفيل أبرهة الرجيم".

المنافقون، "المرجفون الناس من نور الشهب".

ولكى يكون للإحصاء السابق فائدة سأحاول الآن استجلاء الطريقة التى يستثمر بها الشاعر هذه الإحالات، ويسقطها على واقعه، ولنأخذ مثلا لذلك القصيدة الأولى فى الديوان "برء"؛ ومن خلال العنوان نرجح الظن بأن الشاعر يريد أن يبرأ من مرض ما، وبقراءة النص سنعرف أن البرء ليس من مرض الشاعر فقط، وإنما مما ألم بالوطن كله، وهو يريد أيضا أن يتبرأ من هؤلاء الذين يعيثون فى أرض هذا الوطن فسادا من الحكام وأعوانهم، ثم هو يريد أن ينصح لهم، ولا يملك سبيلا لذلك غير شعره، فكيف يفعل الشاعر ذلك؟

يبدأ القصيدة باستعارة قصة أيوب عليه السلام، ولا يقف منها إلا على مايريد وهو حالة البرء "اضرب بضغثك"... ثم يؤكد لنفسه أنه على حق ويطمئنها بأن لا تخاف ولا تنتظر اليقين من أحد، وفى سبيل ذلك يورد ذكر يوسف عليه السلام

"أنت الكليم فما رجاؤك من يقين أو شهود"، ثم يعود إلى حالة أيوب ويُذكِّر المخاطب الذى هو نفس الشاعر بأن الشعر هو دواؤه الذى سيركض فيه بقلبه وليس برجله؛ لأن مرضه ليس فى الجسم وإنما فى البصيرة والرؤية "الشعر مغتسل الرؤى/ فاركض بقلبك"، ولذلك فالنزيف ليس دما، وإنما هو أحلام "يانازف الأحلام فى نزق الوعود"، فكم نزف من أحلام تحت سنابك الوعود التى وعد بها الحكام ...ولذلك عليه أن يوقف هذا الزيف ويغتسل من آثاره، وأن يحقنهم بهذا المصل وهو الشعر/البصيرة/الرؤية، عساهم أن يشفوا هم أيضا وأن تجلى أبصارهم فيروا بعد عمى ويسمعوا بعد صمم، "آتهم بكر القصيد/ فعساه يبصر ذو العمى/ وعساه يسمعك الرشيد"، والخطوة التالية بعد أن تجلى أبصارهم وترهف أسماعهم تكون بأن يصنع لهم حلما جديدا أو حتى أن يوقظ حلمه القديم الذى سيكون جديدا بالنسبة لهم، حلما بوطن جديد معافى، لكن هذا الحلم سيكون غريبا وكأنه بعث بعد موت، لذلك سيستعير له حالة أصحاب الكهف " تبنى عليه المسجد".

وفى هذا المسجد سيؤذن بلال ويقيم الصلاة بوجده وزهده، وبطهره الأوحد، ولن يغره تشابه الوجوه أو جبروت فرعون/الحاكم، فقد انهدم صرحه "والصرح صار المعبدا"، وعليه إذن أن يظل متمسكا بالحلم مهما قاومه المفسدون بالترهيب أو الترغيب "لو أحرقوا كل السفائن.../رصدوا

لعينيك المدائن والسحابا"، وهى إحالة إلى كفار قريش حين عرضوا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الملك والمال بعد التهديد والوعيد، ثم يذكره بأن كل ذلك إنما هو زيف وضعف ويستعيد لذلك قصة السامرى وعجله:

"فاختصمْ عصفَ الخوارْ... و العجل صار السيدا"

وهكذا اتخذ الشاعر من التلميح بديلا عن التصريح، ومن الإحالة عوضا عن الإشارة، ومن الاتكاء على الدلالات التراثية المشتركة ما يجعل القارىء منصهرا معه فى تجربته، بل ويكاد يكتبها معه من توهجها وإشعاعها الدلالى.

لقد أردنا من خلال هذه القراءة الإحالية السريعة لقصيدة "برء" أن أوضح إلى أى حد استطاع شاعرنا الدكتور إبراهيم عمران استثمار التراث والتعامل معه وربطه بالواقع فى لغة تنتمى للتراث بقدر عصريتها، وفى شعر يزيد ارتباطه بالحقيقة كلما أوغل فى الإيهام، وفى رؤية تربط الحاضر بالماضى وتمد الخطوط الدلالية الموروثة على استقامتها لتوقع إحداثيات الحاضر، بل ولتتنبأ بالمستقبل أحيانا.

وكما استثمر الشاعر التراث استثمر أيضا الموسيقا التى لعبت دورا حاسما فى التشكيل الصوتى بالديوان، سواء عن طريق القافية أو القيم الصوتية الكامنة والظاهرة... وعن طريق الصياغة السطرية أحيانا والعمودية أحيانا أخرى، بما

يدل على أن الأفق الموسيقى للقصيدة العربية لايزال أفقا مفتوحا وثريا، ولاتزال به مناطق بكر استطاع شاعرنا أن يرود بعضها وأكثرها لايزال فى انتظار من يرتاده ويغرس فيه لواءه.

وإذا كان هذا الديوان لصاحبه الشاعر الدكتور إبراهيم عمران يثير كل هذه القضايا – التى لم أوفها حقها من التحليل – وغيرها من القضايا التى لم أعرض لها، فهو ديوان قيم يستحق أن يتوقف النقاد أمامه بالدرس والتحليل، وأن يتوقف القارىء أمامه بالتمتع والدهشة والإعجاب والتأمل، وهو أيضا مدعاة لانتظار المزيد من شاعر استحق هذا اللقب عن جدارة.

بزء

اضرب بضغثكَ

غيرَ مصغٍ للرعودْ

يا كاسرًا حُجُبَ المتاهةِ

بين خوفكَ والصمودْ

البرقُ برقُكَ والمحالْ

أنت الكليمُ

فما رجاؤك من يقينٍ أو شهودْ

الشِّعرُ مغتسلُ الرؤى

فاركضْ بقلبكَ

عابرًا مرجَ الخلودْ

يا نازفَ الأحلامِ فى نزقِ الوعودْ

النارُ حولكَ والجنانْ

فاعمَدْ لصدركَ

آتهمْ بكرَ القصيدْ

فعساه يُبصرُ ذو العمى

و عساه يَسمعكَ الرشيدْ

هل غيرُ نبضكَ من رِهانْ

آن الأوانُ

لتشترى حلمًا جديدْ

تبنى عليه المسجدا

إن كنت لم تدرك بلالا

كن بلالا

أقم الصلاة ولا تمارِ

وكن بوجدك منشدا

بتيقن الأبرارِ فى فلك الثرى

وبزهد نُسَّاكِ الحروفِ

بمن تأبطَ مُرَّهُ وتحيَّرا

وكنِ الوحيدَ مجردا

إن الوجوه تشابهتْ

والصرح صار مبدَّدا

فارتق بلجته الشهابا

وعن اقتراف الحلم يوما لاتحِدْ

لو أحرقوا كل السفائنِ

راودوا منك السنابكَ والحرابا

حتى ولو رصدوا لعينيك المدائن و السحابا

سيكفرونك فى هواك مجدَّدا

ماذا تبقَّى منكَ

كى تستحلب الفرح انتحابا

يا واقفًا حد التصحرِ

بالغيوم ملبَّدا

يا ناسخًا غسقَ الحقيقةِ

بين ليلك والنهارْ

هذا نشيدكَ

فاختصمْ عصفَ الخوارْ

فالراكعون تأهبوا

و العجل صار السيدا

فابحث لنفسك عن مدارْ

سديم

بين انفلاتِ الحلُمِ و الأفقِ البعيدْ
الكلبُ ماتَ على الوصيدْ
و الليلُ حالِكْ
فلنألفِ الموتَ الجديدْ
يا مقتفى الأسرارِ من خلفِ المهالِكْ
بُوركتَ فى النارِ التى أشعلتْ
و الرهطِ الذى من حولِ نَارِكْ
هل زاورَتْكَ الشمسُ فى غورِ الوعيدْ
أتظنُّ ذلكْ !
فَضفَاضَةٌ جُدرانُ حُلمِكَ يا رقيمْ

والكهفُ بوتقةُ الحقيقةِ و المسالكْ

وَدَقُ الغيومِ لواقحُ الليلِ البهيمْ

لكنَّ شمعتكَ الرياحُ لها تُبارِكْ

أوجعتَ قَلبَكَ بالنذيرِ وأنت راجٍ أو مُعَارِكْ

سافرتَ فى الأكوانِ مَبتورَ الخُطى

من أىِّ كهفٍ جئتَ بالأسحارِ قدحا

قد كُنتَ أقوى من مُحالِكْ

هل أقرضَتكَ الشمسُ أنوارَ المدارْ

أَمْ أنت من أقرضتَ نورَ الشمسِ نارْ

حُبْلَى سدُومُك بالممالِكْ

يا خاذلَ الأفلاكِ فى رحمِ النهارْ

ضاع الوصيدْ

و العادياتُ أتينَ ضَبحا

الأرضُ لاقَحَها البَوَارْ

إن ماتَ كلبُكَ

جاء كلبٌ

لن يُجيرَكَ أو يُجَارْ

سَلِّمْ جبينكَ تِلَّهُ

لتكونَ ذِبحا

هذا أوانُ الموتِ فى زمنٍ مُعارْ

وجه الفرات

على جبل من التاريخِ

ما زلنا حفاةً

لم نفارق وجهنا الأغبرْ

ولم ندرك بأن حصادنا يذوِى

وأن رهاننا يَخسرْ

ولكنى رأيتك فى زوال العين

من «جفن الردى» تَقْطُرْ

رأيتك والسَّنا جدبٌ

و أيام الخنا تُزهرْ

عرفتك من صهيلٍ شامخٍ

كنا نسيناه

نسينا أوجه الفرسان من زمنِ

فمَن نذكرْ؟!

غريبًا حيثما تحيا

غريبًا حيثما تُذكرْ

غريبٌ والحقيقةُ كلها وطن له نعبرْ

فلا الجلاد منتصرٌ

ولا أذنابه تَكبرْ

سيُهزم جمعُهم يومًا

وكل فلولهم تُدبرْ

فلا بغداد جاحدةٌ

ولا النهران من يُنكرْ

وهل تكريتُ من تُنهى

أو الأنبار من تُؤمرْ

على جبل من التاريخ نادانى

ألم تُبصرْ؟

أجبتُ بلى

فقال اخلع تقيَّتكَ

اقترب للنارِ

لا تجزعْ

فقد بوركتُ قبلكَ

كلما نوديتُ حول النارِ

فاستبشرْ

أنا طودٌ

وظُلُّ الله فى قلبى

فمن أخشى

تموت الخيلُ

والفرسان رغم جراحها تثأرْ

***

غدًا آتى

فوجهى فى فرات النهرِ

لايَفنى ولا يُقبرْ

سيولد ألفُ طفلٍ

من دم الشهداءِ

يحمل سيفكَ الأبترْ

يُعيدُ الحلمَ

يبعث فى نشيج الماء أغنيةً

من الإقدام للعسكرْ

غدٌ يأتى به القعقاعُ

يذبح ما تشابه فيه من بقرٍ

غد يأتى على الأبجرْ

يصد كتائب الرومان والبربرْ

غدًا والدَّهرُ دوارٌ

وهذا النخلُ لا يُقهرْ

رجع الزمان

بلِّلْ دموعَك بالندى

نكِّرْ هوانَك يا وثنْ

أذِّن وأذِّن كيفما

يندادُ صوتُكَ أو يَئِنْ

هذا أوانٌ تُبْتلى ذُلا ومَنْ

وأنا الذى أُلهيتُ عنك مسوِّفا

هل كنتُ من نار الحقيقة راجفًا

أم أنت مَنْ

أحنى الرؤوس مهانةً

خوفَ الوعيدْ

وظنَّ مِنْ إثمٍ

وبعض الإثمِ ظَنٌ

أن العروشَ عبادةٌ

يا ويل أنْ

تبقى كبومٍ ناعقٍ

فى حضنِ شيطانٍ وجِنّ

وأنا المؤذن فى بيوتِ مودتى

لم أَدْرِ مَنْ نَحَرَ الرحيقَ بوردتى

أودعتُ عندك مهجتى

من قال إنك تُؤتمنْ

أسرفتَ فى نسجِ الوعودِ
فعشتُ عمرًا مُرتَهَنْ
وأنا المصدِّقُ كذبتى
كم شِدْتُ فيها جنتى
وأهبت بالأحلام كونى
لم تكن
لافجرَ لاحَ بشرفتى
لا ليلَ جنْ

***

أرجو رضاكَ

ومن دموعى أُمْتَهَنْ

فلكم وكم واعدتنى

سلوى ومَنّ

ودخلتَ صرحى دون إذنٍ أو ثَمَنْ

شمَّرتَ ساقك فانبجستُ

بلجتى عينا فعينا

لا هدهدًا ألقى كتابًا منبئًا

لا طيرَ غنَّى

مَرَّدتُ قلبى فى ثراك

ولم أجد فيك السّكنْ

و أنا المتيم بالسهولِ وبالحَزَنْ

تعبت يداى من الرواية فى الثرى

والريح لم ترحم ضريرًا مبصرا

تبع المزونَ تفر من أوكارها

نادى عسى أن تستجيب وتمطرا

ماعاد من رجع سوى رعد الزمان

وماء نهر كان ثم تبخرا

هل ظن ساعتها بأن زمانه ولَّى به

فتحسرا

***

اركع هناكَ

أنا هنا

أَلْقِ القميصَ مبشِّرا

لم تَبْقَ عينٌ فى وجوه الناس حتى تُبْصرا

وأنا المسافر فى رهانك

مذ أضعتُ هويتى قهرا

فى دورة الإخفاقِ

أدخلُ لاجئًا جبرا

أُقَبِّلُ فى دُموسِ الليلِ

أحفرُ فى الرجا قبرا

وأنتظر الزمنْ

لا أَنتَ شيدتَ السِّدودَ

مُساويًا ما بين صدفيها

ولا أفْرَغْتَ فى أشداقها قطرا

بل كنتَ ترفلُ فى الوسنْ

والسامرىُّ على المنصَّةِ

لا مَساسَ ولا رَسَنْ

يا أيها الوطنُ المسجَّى

تحت أرتال العطنْ

أَجِّلْ مَوَاتكَ ساعةً

حتى تُعِدَّ لىَ الكفنْ

وهذا فراق

إلى أىِّ حَدٍّ سأبكى عليكِ

وأخفض هذا الجبينَ المعفَّرْ

ظللتُ أحبك حتى استحلْتُ

هديلا وحلمًا وقنديلَ عنبرْ

وأنثر قلبى يماما لديك

لعل اليمام يبيض ويكثرْ

وأبنى السواقىَ خلف الغمام

لأمنع عنك هدير التصحرْ

أميط الرمال بقلبى قليلا

ووعد الرمال كذوبٌ مُنَكَّرْ

فهل قلتُ أفٍّ إذا ما رسمت

على النيل حلمًا ووجهًا تحرَّرْ

لك الوصل إن شئت لا لن تشائى

عيون الجحود تبوح وتزهرْ

كأنى سليب الزمانِ البعيدِ

حفائرُ عمرٍ من الضوء تعبرْ

أعدد فيها خصال السدوم

وسمتى القديم على الدرب يصغرْ

لأن الأشعة عند الفطامِ

تخاف تمر علينا فتُقْبرْ

قطفتُ من الشمس بعض الوعود

فنلتُ شعاعًا عجوزًا مكدَّرْ

رقصت على الموج فى كل ريحٍ

وكنت المؤذن للصمِّ أُنْذِرْ

أنادى على الفجر يأبى انبلاجًا

وديك العروش يصلَّى ويقصرْ

أغنى الذى ما بكيتِ عليهِ

وأبكى بكاء الجمال وأهدرْ

إلى أن تجف الدموع بعينى

وألقى عليك بثوبى وأصبرْ

فارتد أعمى و أنت البصيرة
كفى اخضرارٌ وكفُّك أَبترْ
وأبدأ أسئلة حيث أنهى
وكنت زمانًا على الصمت أَقْدِرْ
لماذا خرقتِ السفينَ بقلبى
و أورثتِ فى مقلتىَّ التحسُّرْ
على أننى لم أزل رغم يأسى
أهز بجذع النخيل لِيُثْمرْ
وتبنين هذا الجدار لأَلْقى
هناك كنوزى سرابًا وأغفِرْ

وأما الغلامُ فلمْ تقتليه

وهذان منه أضلُّ وأكفَرْ

نثرتِ الرماد بعينى وصدرى

فكيف أزيح الرماد وأحْذَرْ

سلى النهر كيف رميتُ بِشِصٍّ

فلم ألق إلا الخوارَ المكرَّرْ

ولم يبق إلا أشدَّ الرحالَ

لأحضن حلمى وبالموت أَقْطُرْ

وهذا الذى قد قدرتُ عليه

وقد آن وقتُ الفراقِ المقدَّرْ

برهان

وقفتُ بحافة الأزمـــــانِ
أرقب عصركَ الذَّهبَـــــا

أسرِّج خيل أجـــــــدادى
وأتبع فى الهوى سببـــا

وكنتُ كمن رأى النيرانَ
هب ليجتلى الغيبـــــــا

فأمسك فى يد قبســـــًا
وأمسك فى يد غضبـــــا

وخلتُكَ فى غيابـــــــاتى
هممت أمزق الحُجُبـــــا

فشقَّ النورُ منى الصدرَ
أورقَ قلبى الشُّهبـــــا

ولما بُحَّ منى الصـــوت
و ارتحل الصدا شيْبـــا

رأيتُكَ تعبد الفرعـــونَ
والكهان والكذبـــــــا

فهـــل أسميتَنى موســـى
بلا جبل قد انتصبـــــــا

وهل أسرجتَ لى نـــارًا
لأحشدَ جمعَهم سَرَبـــــا

وهـــــا أنا ذا

أجئ إليك فى عينىَّ أكفانى

بكفٍّ أحملُ الرؤيا

وكفٌ فيه بُرهانى

عصاةُ الشعرِ

أكسرُها

فكم ألقيتُها أرضًا

ولم تسعَ

وكم فى تِيهِ أيامى

سكرتُ بِوَحْيِ أحلامى

وحين أفقتُ أدركتُ

بأنى لم أزل فى الجبِّ

موثوقًا بقمصانى

لقد أهرقتَ أحزانى

برئٌ أنتَ أم جـــانِ

فقفْ نبكِ

بوادٍ كان ذا زرعٍ

وكان حدائقاً غلبا

فلو أنى هززتُ بجذعِك الواهى

فلستَ تُساقطُ الرُّطَبا

ولو أنى أهجتُ نذيرَ قافيتى

لكنتَ لصوتىَ الحُجُبا

فما من سامعٍ قولاً .

وما من مبصرٍ خَطْبا

فما يُجدِى

إذا أورقتَ فى شعرى

زماناً بائسًا قفرا

فكُنْ إن شئتَ لى حَجَرا

وكُنْ إن شئتَ لى قَدَرا

وحدك

ووقفتَ وحدكَ خلف أبواب الرشيدْ

لم تَنحنِ

لم تَنثنِ

لم تتشحْ ثوبَ النساءْ

لم تلتحفْ نُسُكَ العبيدْ

ما بعتَ تَمْرَكَ مرةً

أبدًا و لا يومًا تحيدْ

وطنٌ تعتَّقَ فى الطفولةِ

لا يَشِبُّ و لا يَميدْ

ما بين أحلامى و أقدام الطغاةِ على الثرى

يا ويلَ من ركبَ النهارَ

وقد تدثَّرَ فى الهوى

يا نخلُ يا وجعَ العروبةِ

يا ذرى الحلمِ البعيدْ

ماذا جرى ؟

من فى الزمان له يدٌ

فيما يباعُ و يشترَى

فى عصر نهوى أن نموتَ على الصدورْ

ماذا يُساوِى عنتره ؟!

و لقد ذكرتُك و الزمانُ مغادرٌ بيتَ القصيد

فمن رآكَ لكى يرى

سيفًا توضَّأَ عند بابكَ مشهرًا

من بعد ما نَسَجَ الدماءَ

كما الشفاهِ المبهرهْ

فترنحَتْ كأسُ الكرامةِ فى يدى

وتَوَقَّفتْ سبلُ الرؤى فى خافقى

فشَحذْتُ حلمًا كان يوما فى فمى

و ذكرتُ أنى قد عشقْتُكْ

رغم انكفاءاتِ الصدى

وترنحِ الحلمِ القديمِ على يبابِ الأوردةْ

لملمتُ بعضًا من قوافى غربتي

و حملتُ نهرا فى ثنايا مهجتي

فى حين يأتى الزيف محترفا على جرف الوعيدْ

نخلٌ يموتُ

و(خالدٌ) لم يَبْرِ سهمًا

لا ولا بالكبرياءِ تَعَفَّرا

***

ووقفتَ وحدَكَ تحتَ أكوامِ الغيومِ مُبعثَرا

أفقٌ من الصدأ المعربدِ قد عَشَى و تحجرا

فتمخض الوطن العظيم كمقبرةْ

***

كيف الفرارْ ؟

سيُسجلُ التاريخُ عارًا بعد عارْ

وطنٌ تأرجح فى عيون القبرِ

يسألُكَ القرارْ !

و تناثرتْ كلُّ الرؤى

فلتعطِنا نخلا تَخضَّبَ بالندي

نخلا عزيزًا سيدا

فالوجهُ عانَقَهُ انكسارْ

و هناك مازال المدى

و القفر يسعى بين زخات الردى

ماذا تفيض على الجراحْ

أنت الذى بَصُرَ اليمامةَ

فوق سطح مستباحْ

رغم الظلام

و رغم ما يغشى البلاد من السفاحْ

المرجفون

من أين أقتبس السنا؟

سلبوا النهارَ

وأورثوا ليلَ المنى

فمشيت خلفَ سحابةٍ

ما نالنى غيرُ النصبْ

وأنا الذى أشعلتُ...

كم أشعلت شمعًا للرياحِ

فهل يجافينى اللهبْ؟

اليوم لا نارٌ لدىَّ

ولا حطبْ

غدىَ المكبلُ كيف يخترق الحجبْ

فأنا المغيَّبُ فى هشيم قصائدى

النار مثواها القصيدُ

وبئس مثواهُ الغضبْ

***

فى دفقة التاريخ تَخرجُ فرقةٌ

باعوا الخلافة بالكراسى والذهبْ

ثم اشتروا بخساً

بنصر الله فينا

كلَّ أوثانِ العربْ

الراكعون لفيلِ أبرهةَ الرجيمِ
المرجفون الناسَ من نور الشُّهُبْ
الجالسون على أكفِّ الريحِ
ريشاً بين أوراقِ الخُطَبْ
الرابضونَ على مَدَافعِ كبرِهم
جُبناً وإذعانا
وأنا المكبل بالقصائدِ واللهبْ
والنار مثواها القصيدُ
وبئس مثواهُ الغضبْ

الفهرس

مقدمة	٥
برء	١٩
سديم	٢٧
وجه الفرات	٣٣
رجع الزمان	٤١
وهذا فراق	٥١
برهان	٥٩
وحدك	٦٧
المرجفون	٧٥

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع